تبدو لحظة ميلاد نصر الله مؤثرة فى شخصيته فهى ككل لحظات لبنان أبدا محفوفة بالمخاطر والقلق والتنوع ما بين المذاهب الدينية والعرقية والسياسية، التى تقف كلها على حافة التهديد الإسرائيلى، ويذكر العديد من رفاق طفولته أنه لم يختلف كثيرا فى شبابه الممتد حتى اليوم عن طفولته إلا فى المناورة والمهارة السياسية، لكنه ظل طوال هذا الوقت الممتد متدينا، شرسا فى رفضه أى مزاح يمس الدين أو الذات الإلهية، ولطالما تخاصم مع رفاقه إلى حد القطيعة بسبب تلك المسائل، وكان أغلب رفاقه فى فترة الصبا موزعين بين شيوعيين وناصريين وبعثيين وقوميين.

أما اللحظة الثانية فهى عند استشهاد ولده البكر «هادى» فى مواجهة غارة للقوات الإسرائيلية .. تلك اللحظة كانت فى مكتبه بعد تلقيه خبر استشهاد نجله، حيث طلب من زملائه أن يتركوه وحده فى مكتبه لعدة دقائق .. وبعد شهور كشف عن أنه لم يطلب خلوة ليبكى ، وأن كل ما فعله هو أنه استجمع قواه وقيمه ومفاهيمه التى أوصلته إلى هذا المقام، بعدها خرج متماسكا قويا ليتلقى التعازى.

أعتقد أن هاتين اللحظتين صنعتا شخصية هذا الرجل، وفى سياقهما تأثره بشخصيتين غاية فى الأهمية هما الإمام موسى الصدر والسيد محمد باقر الصدر المفكر الشيعى الذى لم يتجاوز كثيرون دراستيه المهمتين «اقتصادنا» و«فلسفتنا».

لماذا هاتان اللحظتان ؟.. لأنهما تتسقان تماما مع مفاهيم شيعية أصيلة، تتعلق بالجهاد والتحمل والصبر والتضحية والفرح بالشهادة والوصول بالنفس حد تمنيها ليل نهار.